عن أيّ شيء

علي مواسي، فلسطين

غناءٌ في مدرسة البنات

صباح الخير أيّتها البلاد
القطرات على شبابيكك دموعٌ تهرول مِن أعالي الجنوب
العصافير المختبئة مِن الشّتاء سرب نازحين
هزّة رعدك الآن عويل أمّهات
شمسك المخطوفة خلف الغيم غناءٌ مِن شجرٍ في مدرسة البنات
يداك تحفران قبراً كبيراً لأجساد الصّغار
يداك تحفران ينابيعَ في باطن الأرض
يداك خطوط نجمٍ طويل المدى في السّماء
قصير المدى، مِن مسافة العمرِ
في موضع مشي الحفاة
قلبي بحرٌ مِن سهول
حرثتْها المجنزرات تحت ظلّ الطائرات
قلبي بكاءٌ
قلبي فجرٌ
قديم.

أيّها العالَم

مهلاً على غيمٍ مِن بسمة الطّفلة تحمل حلواها على الرّأس، تبيعها في المخيّم
مهلاً على قلبٍ مِن الأجساد تغتسل بماء البحر في النّزوح
مهلاً على الهدهدات تدخل في زعيق الصّواريخ

مهلاً على ألعابٍ تحصل في الخيام
على أحاديثَ حول النّار، حيث جرحٌ يتفتّح وأملٌ يتّسع
على يدين تجوعان فتسرقان كيس طحين
على أناسٍ نيامٍ إلى الأبد في الطّرقات
ثُقِبَتْ أجسادهم بالرّصاص
مهلاً على عصافيرَ فقدتْ أشجارها
وخيولٍ عزيزةٍ على أصحابها
ذُبِحَتْ لوأد الجوع والدّموع
مهلاً عليّ في احتراقي
مهلاً علينا حتّى
نقوم.

كأنّه جرح دمشق

هذا قلبي
مخبوزٌ على نارٍ ميّتة
معجونٌ بماءٍ مِن أسئلةٍ بلا أجوبة
تستوطنه طفيليّاتٌ مِن زمن الجليد

خذوه
ازرعوه في أرضٍ لا لغةَ فيها ولا أسماء
دعوه يغنّي في براري الخوف
اسمعوا صراخه المبحوح
جرحه الجريح
كأنّه صهيلٌ دمشقيٌّ
عتيق.

دمع اليمن

في النّهر الأردنيّ رماديَ المنثور
له صوت كتبٍ إبراهيميّةٍ محترقة
كأنّها سطرٌ في لوح سومر
أو عينٌ منقوشةٌ في قبر مصرَ القديم
حيث مِن فم التّمساح نيلٌ
ومِن جناح الأسد حديقة نخلٍ
ومنّي، في الرّيح، طوفانٌ
يشبه دمع
اليمن

لا

لا أحدَ لك في هذه المذبحة
لا أحدَ للحمك المفروم بأسنان النّار
لا أحدَ يمشي إليك ليرى عينيك في الذّهول
ليرى الدّمع فيهما مِن حُلْكَة الموت القديم

لا شيءَ معك
سوى يديك تحفران في الرّكام
سوى قدميك الواقفتين في التّعب الطّويل
سوى صراخك المفجوع مِن الأشلاء على الأشلاء

لا شيءَ
سوى أن تكون نورك النّار ما استطعت
تحرق به أخضر العالَم ويابسه
دون أن تعتذر عن شيء، أيّ شيءٍ
لأحدٍ سواك.

أطفال الحيتان

أكتب لأطفال حيتانٍ يلعبون في ماءٍ لا ينتهي
وهناك حيث الرّيح تدلّي أقدامها مِن سفوح الجبال
قلوبٌ ترقص في دائرةٍ وتدخل في الأغنية
إلى أن يصير كلّ بياضٍ غزلاناً وزهوراً
زرقاء

أكتب لأمّهاتٍ أضعن أطفالهنّ في طرق الحروب
ثمّ رحن يكتبن أسماءهم وأسماء آخرين في أرغفة الصّباح المغمّسة بالزّيت في مواسم القطاف
يوزّعنه على العابرين إلى بلاد
الرّوح

أكتب لعينيك الكرديّتين
للكحل الّذي ضمّني بكلتا يديه كلّما دخلتُ في سِحْرِ كلامهما الّذي بلا كلام

أين أنت في البلاد؟
نمشي في موانئ أثينا دون أن يعرف البحر أمر وجودنا
ولا قمم الجبال في إيران، ولا خفر الحدود في
طريق العبور

أكتب لكي تعود بسمتك ولو قبلةَ حمام
تلمس جبهة النّخل في حيفا
فتصحو نوافير الأندلس
ولا ننام